

الفصل الرابع

خطأ الاستشهاد بالعهد القديم

رسالة المسيح وشهادات العهد القديم

تقول الأناجيل أن المسيح بعد أن عمدته يوحنا في مياه نهر الأردن ،
فانه تعرض للتجربة والاختبار من الشيطان ، « ولما أكمل إبليس كل تجربة
فأرقه إلى حين » .

لقد أصبح المسيح بهذا مهياً لحمل الرسالة .

وفى بدء دعوته فإنه « جاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى . ودخل
المجمع الذى حسب عاداته يوم السبت وقام ليقرأ . فدفع إليه سفر أشعياء
النبي . ولما فتح السفر وجد الموضع الذى كان مكتوباً فيه :

روح الرب على لأنه مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأشفي المنكسرى
القلوب لأنادى للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر ..

ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم وجلس .. فابتدأ يقول لهم أنه اليوم
قد تم هذا المكتوب في مسامعكم - لوقا ٤ : ١٣ - ٢١ »

لقد أعلن المسيح بهذا أن رسالته تجد لها سنداً في أسفار العهد القديم ،
فليؤمن اليهود إذن بالدعوة وصاحبها .

✱

ولقد كان الرجوع إلى إشارات العهد القديم وسيلة هامة يستعين بها
المسيح في محاوراته مع تلاميذه ، وفي مواضع الجدل والتحدى الذى كان
يلتقى من اليهود .

وفى أحد المواقف قال مرة لتلاميذه عن اليهود الجاحدين : « قد تمت فيهم نبوءة أشعياء التماثلة تسمعون سمعا ولا تفهمون ، ومبصرين تبصرون ولا تنظرون . لأن قلب هذا الشعب قد غلظ - متى ١٣ : ١٤ - ١٥ .

وفى مواجهة مع ذلك الصنف من اليهود قال لهم : « فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية ، وهى التى تشهد لى - يوحنا ٥ : ٣٩ .

★

وبالمثل كان تلاميذ المسيح يستخدمون ما يستشعرونه نبوءة أو رمزاً للأحداث الهامة فى حياة المسيح وحياة تلاميذه ، باعتبار ذلك أقوى حجة يمكن استخدامها فى اقناع اليهود .

فبعد رفع المسيح وقف بطرس يتكلم عن يهوذا الخائن ويقول : « كان ينبغى أن يتم هذا المكتوت الذى سبق الروح القدس فقال له بفم داود عن يهوذا الذى صار دليلاً للذين قبضوا على يسوع ..

لأنه مكتوب فى سفر المزامير لتصر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن - أعمال الرسل ١ : ١٦ - ٢٠ »

★★

خطأ فهم أسفار العهد القديم

لقد حرص كتبة أسفار العهد الجديد على الربط بين ما كان من أمر المسيح ، وما رأوه تنبؤات سبق أن تكلم بها أنبياء العهد القديم . ولقد كان من أكثر كتبة الأناجيل حرصاً على ذلك . « فلقد استخدم متى فى إنجيله عشر مرات ، صيغة يقدم بها للاستشهاد من العهد القديم ، وهذه الصيغة تقول : وهذا كان لكى يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل .

(انظر متى ١ : ٢٢ ، ٢ : ١٥ ، ١٧ ، ٢٣ ، ٤ : ١٤ ، ٨ : ١٧ ،

١٢ : ١٧ ، ١٣ : ٣٥ ، ٢١ : ٤ ، ٢٧ : ٩) .

إن هذه الشهادات التي قدم لها متى بتلك الصيغة ، إنما هي إضافات من عمل متى لمصدره ونعني به إنجيل مرقس ، وهي واحدة من أهم ما يتميز به إنجيل متى .

وبجانب ذلك فانه توجد مواضع كثيرة في هذا الإنجيل نستطيع أن نجزم فيها بأن متى كان يكتب وفي تفكيره إحدى فقرات العهد القديم ، على الرغم من أنه لم يشر إليها صراحة .

وعلى سبيل المثال فان قول متى : اعطوه خلا ممزوجاً بمزارة (٢٧ : ٣٤) ، يمكن مقارنته بما في المزمور الذي يقول : يجعلون في طعامي علقماً وفي عطشي يسقونني خلا (٦٩ : ٢١)

ولو أن هذا يخالف نظيره في إنجيل مرقس : واعطوه خمرأ ممزوجة بمز ليشرب (١٥ : ٢٣) ..

إن الدراسة الحديثة للعهد القديم لا تؤيد مفهوم متى لما فيه ، كما أنها لا توافقه على الفقرات التي استخرجها من أسفاره ، عندما كان يكتب إنجيله .

لقد أصبح واضحاً الآن أن العهد القديم لم يكن تجميعاً لتنبؤات عن أحداث المستقبل يمكن أن تفهم فقط بعد أن تضي عدة قرون .

إن كتبة أسفار العهد القديم كانوا يكتبون في الواقع لمعاصريهم بالطريقة التي يفهمونها ، ويتكلمون عن أشياء من الممكن أن تحدث إبان حياتهم ..

لقد كان من المعتقد أن داود هو مؤلف المزامير ، وقد فهم المسيحيون كثيراً من الفقرات المذكورة في المزامير على أنها إشارات للمسيح ، ونذكر على سبيل المثال ما جاء في سفر أعمال الرسل (الفقرة ٢ : ٢٥ وما بعدها) حيث نجد شهادات من المزامير : ١٦ ، ١٣٢ ، ١١٠

ولقد أصبح معلوماً الآن أن كثيراً من المزامير لم يكتبها داود ، وإنما هي من نتاج عصر متأخر . كذلك فإن فقرات من تلك المزامير التي يقرؤها المسيحيون باعتبارها نبوءات عن المسيا (المنتظر) كان معناها الأصلي مختلفاً عما فهموه » (١)

✱

ويقول تشارلس دود : « إننا إذا أمعنا النظر في الكتب (من العهد القديم) التي كونت المصادر الرئيسية للشهادة ، فإن قدرنا صغيراً ملحوظاً منها هو الذي بصرح بما يتعلق بالمسيا ، إما لأنها تحتوى على اللقب : مسيا (مسيح الرب) ، أو لأنه يمكن إثبات أن تلك الكتب كان لها تفسير مسيائي في اليهودية التي كانت قبل المسيحية .

إن الألقاب المتميزة التي نقلت من نبوءات (العهد القديم) بغية إظهار الإنجيل وإعلان الأحداث التي تتعلق بيسوع ، كانت : ابن الإنسان ، وعبد (الله) .

وما يجدر ذكره أن أياً من هذين اللقبين ، لم تكن له الأهمية القصوى في العقيدة اللاهوتية المتطورة (فيما بعد) للكنيسة . إن كليهما ينسب إلى المرحلة الأولى (من المسيحية) » (٢) .

✱

نعم - لقد كانت المرحلة الأولى من المسيحية التي عاصرت المسيح وتلاميذه وتابعيهم ، تؤمن بأن المسيح . ابن لآدم ، وعبد الله - لكن العقيدة التي تطورت فيما بعد ، أهملت ذلك وخلعت عليه ألقاباً لاهوتية كان من أبرز نتائجها أن انقسمت العقيدة الواحدة إلى عقائد شتى وفلسفات متباينة .

✱ ✱

(١) المرجع ٧ - ص ١٧ ، ١٨ ، ٣٥٩ .

(٢) المرجع ٩ - ص ١١٦ .

شهادات العهد القديم

من دراسة قام بها رندل هاريس ونشرها في كتابه : الشهادات (عام ١٩١٦ ، ١٩٢٠) نجد أن شهادات العهد القديم التي ذكرت تصرّيحاً أو تلميحاً في أسفار العهد الجديد يمكن تصنيفها كالآتي : (٣)

١ - فقرات يستشهد بها أكثر من كاتب من كتاب العهد الجديد ، وتختلف نصوصها المنقولة عما في الترجمة الإغريقية لأسفار العهد القديم التي تعرف بالسبعينية ، كما تختلف عما في النسخة العبرية . ومن النادر تحديد مصادر تلك الترجمة .

٢ - فقرات مركبة تظهر في أكثر من كتاب من كتب العهد الجديد وقد تكونت خليطاً من فقرتين أو أكثر ، ويرجح أنها نقلت عن مصدر خلطت فيه من قبل ، ويبدو هذا واضحاً من الأمثلة التي نجد فيها « أن الكاتب قد نقل خطأ فقرتين لمؤلفين مختلفين ، ثم نسبها لمؤلف واحد كما في إنجيل مرقس (١ : ٢-٣) الذي اقتبس فقرة مركبة وهي عبارة عن خليط من سفرى ملاخي وأشعيا ، ثم نسبها خطأ إلى أشعيا .

إن هذا الخطأ يمكن أن يحدث بسهولة عندما ينقل الكاتب شهادته من مقتطفات أدبية لمؤلف خلط النبوتين معاً ، ولا يحدث ذلك الخطأ لو كان الكاتب قد نقل عن السفرين المشار اليهما .

٣ - فقرات ارتبطت بكلمة متميزة أو فكرة مثل الفقرات التي تتكلم عن حجر ، ومنها الحجر الذي رفضه البناءون - حجر الزاوية - حجر عثرة ، وهذه نقلت إلى أسفار العهد الجديد بتأويلات مختلفة .

✱

لقد ترتب على خطأ فهم أسفار العهد القديم ، أن كانت الشهادات التي نقلها كتبة الأناجيل وبقية أسفار العهد الجديد ، لا تتفق وما ركزوا على تأكيده ، ألا وهو قولهم : أن المسيح ابن الله ، وأنه صلب فداء عن كثيرين .

ونسوق فيما يلي ثمانية من شهادات العهد القديم التي نقلها كتبة العهد الجديد، لتعرف على أنواعها المختلفة ، ونئين مقدار الصدق في الاستشهاد بها .
ولسوف نركز على ما أورده إنجيلا متى ويوحنا لسبيين : أما أحدهما فهو أن إنجيل متى يعتبر أكثر الأناجيل استشهاداً بما في العهد القديم .
وأما الثاني فلأن ذلك الأنجيل يندرج تحت قائمة الأناجيل المتشابهة - التي تضم إليه إنجيلي مرقس ولوقا - والتي تكون تعلما عقائديا يخالف ذلك التعليم الذي انفرد به إنجيل يوحنا .

وبذلك يمكن القول بأن دراستنا لما في إنجيلي متى ويوحنا من شهادات ، تعتبر دراسة لما في الأناجيل الأربعة .

وهذه الشهادات الثمان منها خمس من إنجيل متى هي :

(٢ : ٤-٦) ، (٢ : ١٤-١٥) ، (١٢ : ١٧-٢١) ، (٢٧ : ٣-١٠)
(٢ : ٢٣)

وثلاث من إنجيل يوحنا هي :

(١٣ : ١٨) ، (١٥ : ٢٤-٢٥) ، (١٩ : ٣٢-٣٦)

ومصادرهما من العهد القديم (٤) هو ما جاء في الأسفار الآتية على الترتيب :

(ميخا ٥ : ٢ ، صموئيل الثاني ٥ : ١-٣) ، (خروج ٤ : ٢١-٢٢) ، (هوشع ١١ : ١) ، (أشعيا ٤٢ : ١-٤) ، (زكريا ١١ : ١٢-١٣) ، (نبوة ليس لها أصل في أسفار العهد القديم) ، (مزمو ٤١ : ٩) ، (مزمو ٣٥ : ١٩) ، (مزمو ٣٤ : ٢٠) .

★ ★

من شهادات إنجيل متى

١ - تقول أسفار العهد القديم : «أما أنت يا بيت لحم أفراتة وأنت صغيرة . أن تكوني بين الآف يهوذا فنك يخرج لي الذي يكون متسلطا على اسرائيل - ميخا ٥ : ٢ » .

وكذلك تقول : « جاء جميع أسباط اسرائيل إلى داود .. وتكلموا قائلين هوذا عظمتك ولحمك نحن .

ومنذ أمس وما قبله حين كان شاول ملكا علينا قد كنت أنت (يادادود) تخرج وتدخل اسرائيل وقد قال لك الرب أنت ترعى شعبي اسرائيل وأنت تكون رئيسا على اسرائيل ..

فقطع الملك داود معهم عهداً في حبرون أمام الرب ومسحوا داود ملكا على اسرائيل — صموئيل الثاني ٥ : ١-٣ »

★

ولقد رأى كاتب إنجيل متى أنه يمكن خلط هاتين الفقرتين معاً لتخرج منها فقرة مركبة يمكن استخدامها في الإشارة إلى أن مولد المسيح في بيت لحم ، إنما كان تحقيقاً لنبؤة العهد القديم .

وفي هذا يقول : « سألهم (الملك هيرودس) أين يولد المسيح . فقالوا له في بيت لحم اليهودية .

لأنه هكذا مكتوب بالنبي . وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا . لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي اسرائيل — ٢ : ٤-٦ » .

ويقول جون فنتون تعليقا على هذه الشهادة : « إن النبؤة من ميخا (٥ : ٢) لكنها ليست في الترجمة السبعينية الإغريقية : كما أنها ليست ترجمة صادقة عن النص العبري (ويستطيع القارئ ملاحظة ذلك بسهولة) ومن المحتمل أن يكون صموئيل الثاني (٥ : ٢) قد ضم إلى نبؤة ميخا (٥) .

★

ومن الواضح أن فقرة صموئيل الثاني تتكلم عن تاريخ داود وكيف اختاره الشعب ملكا ، أما فقرة ميخا فإنها تنبأ عن حاكم صالح يحكم اسرائيل .

ومن المعلوم أن المسيح لم يتسلط على اسرائيل يوما واحداً . فلقد
« قال له واحد من الجمع يا معلم قل لأخى أن يقاسمى الميراث . فقال له
يا إنسان من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما - لوقا ١٢ : ١٣ - ١٤ »
رحين علم المسيح « أنهم مزمعون أن يأتوا ويخطفوه ليجعلوه ملكا
إنصرف أيضاً إلى الجبل وحده - يوحنا ٦ : ١٥ » .

فما لاشك فيه أن هذا الخليط من فقرات العهد القديم لا يستطيع أن
يعطى فى صورته المركبة نبؤة تنطبق على المسيح .

٢ - ويقول سفر الخروج أنه فى بدء رسالة موسى كان الوحي إليه :
« عندما تذهب لترجع إلى مصر .. فتقول لفرعون هكذا يقول الرب .
اسرائيل ابنى البكر . قلت لك أطلق ابنى ليعبدنى - ٤ : ٢١-٢٣ » .

ونجد فى أسفار العهد القديم أن لفظ : ابن الله - قد أطلق على
الأنبياء ، كما قيل عن سليمان ، كذلك فإنه أطلق على للشعب الاسرائيلى ، كما
جاء فى سفر الخروج - المشار إليه - وفى غيره من الأسفار .

ولهذا فإن سفر هوشع حين يذكر بعضا من رحمة الله التى أنعم بها فيما
مضى على الشعب الاسرائيلى ، فإنه يذكر دعوة الله له بالخروج من مصر
تحت قيادة موسى ، ليخلصهم من ذل للعبودية التى ذاقوها على يد فرعون .
وفى هذا يقول هوشع : « لما كان اسرائيل غلاما أحببته ومن مصر
دعوت ابنى - ١١ : ١ » .

*

لكن متى رأى أنه يمكن الربط بين دعوة الشعب الاسرائيلى للخروج
مصر ، وبين عودة الصبي يسوع منها بعد وفاة الطاغية هيرودس إذ أن
الحديثين - الخروج والعودة - يتعلقان بمصر ولذلك تجده يقول : « قام
(يوسف زوج مريم) وأخذ الصبي وأمه ليلا وإنصرف إلى مصر وكان
هناك إلى وفاة هيرودس .

لكى يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل من مصر دعوت ابني
- ١٤: ١٥ - » .

إن هذه الشهادة التي ساقها متى من سفر هوشع انما تشير إلى « دعوة الرب للشعب الاسرائيلي باعتباره ابنا له للخروج من مصر (على عهد موسى) » (٦) ، وليس هناك ما يجعلها نبؤة تشير إلى عودة للصبي يسوع لأن ما ذكرته أسفار العهد القديم عن دعوة الابن من مصر لا يخرج عن كونه مجرد سرد لحادث مضى .

★★

٣ - يذكر سفر أشعياء نبؤة عن النبي المختار ، عبد الله ورسوله الذي يأتي بشريعة الحق تلك التي تنتظرها أمم الأرض - فيقول :
هوذا عبدي الذي أعضده ، مختارى الذي سرت به نفسى .
وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم .
لا يصبح ولا يسمع في الشارع صوته .
قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفيلة خامدة لا يطفىء . إلى الأمان يخرج الحق .
لا يكمل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض .
وتنتظر الجزائر شريعته - ٤٢ - ٢ - ٤ - » .

*

ولقد رأى كتبة الأنجيل أن تلك النبؤة تحققت في المسيح ، ولهذا يقول متى :

« لكى يتم ما قيل بأشعياء النبي القائل :

هوذا فتاى الذى اخترته ، حبيبى الذى سرت به نفسى .
أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق .

لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته .

قصبة مرضوضة لا يقصف . وفتيلة مدخنة لا يطفىء . حتى يخرج الحق إلى النصرة . وعلى اسمه يكون رجاء الأمم - ١٢: ١٧-٢١ .

★

ويقول جون فنتون عن هذه النبوة : « إن هذه تعتبر أطول فقرة استشهد بها من كتب العهد القديم .

ومن الواضح أن متى لم يتبع نص أى من النسختين العبرية أو الاغريقية لكنه سار على أخذ نصوص حسبما رآها تناسب رأيه من أن النبوة تحققت في يسوع وفي الكنيسة .

ولقد حذف متى سطرين من أشعيا ٤٢: ١-٤ ، ولكنه أبقى على السطر الأخير الذى رأى أنه يحقق هدفه » (٧) .

★

بعد ذلك نلاحظ شيئاً هاماً ، وهو أن هذه النبوة تتعلق ببنى أول صفاته أنه : عبد الله . ولقد حاول مترجموا النسخة العربية للإنجيل متى أن يبتعدوا عن هذا الوصف الصريح لذلك النبي فاستبدلوا كلمة : عبدى - المذكورة في الترجمة العربية لأشعيا وترجمتها في النسخة الانجليزية my servant - بكلمة : فتى ، وترجمتها في النسخة الانجليزية للإنجيل متى أيضاً my servant - وإن كان هذا لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً ، إذ أن كلمة فتى تعنى في اللغة العربية : عبد ، أيضاً .

فإذا سلمنا - جدلاً - بأن نبوة أشعيا التى ذكرها متى تتحقق في المسيح لكان من اللازم أن تكون أول صفاته أنه : عبد الله .

وحين يتفق المسيحيون على أن أول صفات المسيح أنه : عبد الله ، تتحقق الوحدة المسيحية. أما أن يستشهد بفقرة تقول أن يسوع : عبد الله ، ثم

تقول فقرات أخرى من الإنجيل أنه غير ذلك ، فان هذا تضارب واضح يترك أمر الحكم فيه لعقل القارئ وضميره .

★ ★

٤ - يتكلم سفر زكريا عما حدث بينه وبين شعبه فيقول : « قلت لهم إن حسن في أعينكم فاعطوني أجرتي وإلا فامتنعوا . فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة .

فقال لي الرب القها إلى الفخاري الثمن الكريم الذي ثمنوني به . فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب - زكريا ١١ : ١٢ - ١٣ » .

★

لكن إنجيل متى يربط بين هذه الحادثة التي وقعت لزكريا ، وبين ما قاله عن يهوذا الذي خان سيده المسيح نظير ثمن قليل من الفضة - فيقول : « حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ .. فطرح الفضة في الهيكل وانصرف ثم مضى وخنق نفسه .

فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقبها في الخزانة لأنها ثمن دم .

فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء ..

حينئذ تم ما قيل بارميا النبي القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثلث الذي ثمنوه من بني اسرائيل . وأعطوها عن حقل الفخاري كما أمرني الرب - ٢٧ : ٣ - ١٠ » .

★

ويتفق العلماء على أن الخطأ في هذه الشهادة ظاهر إذ أنه « من زكريا ١١ : ١٢ وما بعدها ، وليس من إرميا » (٨) .

ولست مشككة هذه الشهادة أن كاتب إنجيل متى أخطأ فيها من حيث الشكل والاطار العام ، حين حسبها من سفر أرميا بينما هي من سفر زكريا ، لكن فيها أخطاء موضوعية تتضح لنا حين نقارن بين عناصرها ، والعناصر التي تحتوى عليها قصة هلاك يهوذا الخائن ، فنجد أن القصتين على طرفي نقيض ، ولا يمكن أن تكون أولاهما — قصة زكريا — صورة مطابقة سبق التنبؤ بها للقصة الثانية التي ذكرها متى عن نهاية يهوذا — ذلك أن :

بطل قصة زكريا هو نبي كريم يتلقى الوحي من الله ، بينما بطل قصة متى خائن حقير صارت خيائته مثل سوء في العالمين .

ولقد تسلم زكريا ثلاثين من الفضة ، ثمنا كريما ارتضاه الله لصنيعه مع شعبه ، بينما كانت الفضة التي تسلمها يهوذا ثمنا خسيسا يرفضه كل الناس بما فيهم يهوذا الخائن نفسه ، الذي حين رجع إلى نفسه وحاسبها فانه خجل أن يمتلك ثمن الخيانة ، وذهب لودعها في خزانة بيت ، الرب كما يقول الانجيل .

ولما كانت فضة زكريا ثمنا كريما فانها قبلت في بيت الرب ، أما فضة يهوذا ، فكما أنها رفضت من يهوذا نفسه ، فانها رفضت كذلك من كهنة اسرائيل المنافقين الذين أبوا أن يقبلوها في خزانة بيت الرب ، لأنها ثمن رجس على شاكلة ما حرّمته شريعة موسى التي تقول .. « لا تدخل أجرة زانية ولا ثمن كلب إلى بيت الرب الهك عن نذر ما لأنها كليهما رجس لدى الرب الهك — تثنية ٢٣ : ١٨ » .

★

وجدير بالذكر أن انجيل مرقس الذي كان المصدر الرئيسي لانجيلي متى ولوقا ، لم يحدد قيمة ثمن الخيانة وإنما قال : « ثم إن يهوذا الأسخريوطي .. مضى إلى رؤساء الكهنة ليسلمه اليهم . ولما سمعوا فرحوا ووعدوه أن يعطوه فضة — مرقس ١٤ : ١٠-١١ » .

وكذلك في إنجيل لوقا : « فضى (يهوذا) وتكلم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه اليهم . ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة . فواعدتهم — لوقا ٢٢ : ٤-٦ » .

من هذا نتبين أن متى قد انفرد عن بقية الأناجيل - ومنها إنجيل يوحنا - بتحديد ثمن الخيانة بثلاثين من الفضة . وما ذلك إلا لأن فقرة زكريا التي تكلمت عن ثلاثين من الفضة والفخاري كانت في ذاكرة متى وهو يكتب إنجيله ، ولهذا قرر إعتبارها شهادة عن خاتمة يهوذا .

وما ذلك على متى بجديد ، فن قبل قرأ متى في سفر زكريا قوله ، « ابتهجي جداً يا ابنة صهيون اهتفي يا بنت ، أورشليم . هوذا ملكك يأتي إليك هو عادل ومنصور وديع وراكب ، على حمار وعلى جحش ابن أتان - زكريا ٩ : ٩ » .

وقد اعتبر متى هذا نبؤة عن دخول المسيح أورشليم فقال ، « كان هذا لكي يتم ما قيل بالنبي القائل . قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً راکباً على أتان وجحش ابن أتان - متى ١١ : ٤ - ٥ » . « ويبدو أن متى فهم هذه النبوءة حرفياً ، ولهذا أدخل إلى قصته حيوانين (حمارين) » (٩) .

وهما أتان وجحش ، بينما اتفقت بقية الأناجيل - كما سبق أن رأينا - على أن المسيح استخدم في دخوله أورشليم حيواناً واحداً (جحشاً) . هذا - ولا نظن أحداً لديه شك في أن هذه الشهادة التي ساقها متى خاطئة شكلاً وموضوعاً .

★ ★

٥ - وكما أخطأ متى في الاستشهاد بفقرة حسبها من ارميا بينهاهي زكريا ، فإنه أخطأ كذلك خطأ من نوع آخر وذلك في شهادته التي يقول عنها : « وأتى (يسوع) وسكن في مدينة يقال لها ناصرة . لكي يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصرياً - ٢ : ٢٣ » .

★

إن أسفار الأنبياء لم تقل شيئاً من هذا ، وإن العلماء متفقون على « أن مصدر هذه النبوة غير معلوم » (١٠) ويستطيع القارئ أن يتصفح أسفار العهد القديم بحثاً عن هذه الشهادة ولن تكون نتيجة بحثه سوى العودة ببحثي حنين .

إننا في هذا المثل أمام شهادة لا يعرف لها أصل ، وهي بذلك صنف عجيب من أصناف الشهادات .

★ ★

من شهادة انجيل يوحنا :

١ - يقول داود في المزمور ٤١ :

« طوبى للذي ينظر إلى المسكين في يوم الشر ينجيه الرب . الرب يحفظه ويحييه ويغتنط في الأرض ولا يسلمه إلى مرام أعدائه . الرب يعضده وهو على فراش الضعف . أنا قلت يارب ارحمني .. أعدائي يتناولون على بشر . متى يموت ويبعد اسمه .. كل مبغض يتناجون معا على . على تفكروا بأذني . يقولون أمر ردى قد انسكب عليه . حيث اضطجع لا يعود يقوم أيضاً رجل سلامتي الذي وثقت به آكل خبزي رفع على عقبه . أما أنت يارب فارحمي وأقني فجازيهم . بهذا علمت أنك سررت بي أنه لم يهتف على عدوى أما أنا فبكما لي دعمتي قدامك إلى الأبد » .

★

ويقول المفسرون في مقدمة هذا المزمور - في نسخة الملك جيمس - أنه يقرر ثلاثة أمور : عناية الله بالمسكين - وشكوى داود من خيانة أعدائه - ثم هو يلجأ إلى عون الله .

ومن الواضح أن هذا المزمور يبدأ بتقرير أن الله حافظ عبده ، ولن « يسلمه إلى مرام أعدائه » الذين يريدون موته .

وفى فقرته الثانية نجد هذا العبد يستنجد برحمة الله لتنداركة من أذى الموت الذى ظن أعداؤه أنه قد أحاط به ، ولذلك قالوا : أمر ردىء قد انسكب عليه . حيث اضطجع لايعود يقوم » . ثم يشكو هذا العبد من خيانة صديقه الذى وثق به وأكرمه .

وتبين الفقرة الأخيرة أن الله قد نصر عبده - تأكيداً لما جاء فى الفقرة الأولى - فقد علم ذلك العبد أن الله قد سربه فدعمه ونجاه من يوم الشر بعد أن أحمده صوت عدوه .

★

لقد رأى يوحنا أن هذا المزمور يشير إلى موقف تعرض له المسيح حين خانه تلميذه يهوذا الاسخريوطى - واتفق مع شيوخ إسرائيل على قتله - ولهذا يقول على لسان المسيح :

« أنا أعلم الذين اخترتهم (من تلاميذى) . لكن ليتم الكتاب الذى يأكل معى الخبز رفع على عقبه - يوحنا ١٣ : ١٨ » .

إن كان هذا المزمور نبؤة عن المسيح فعناهُ الواضح الصريح الذى لا لبس فيه ولا إبهام أن الله نجاه من مؤامرة الأشرار .

لقد كانوا يريدون موته . فلم يسلمه الله إلى مرام أعدائه .

إن النتيجة التى لامفر من مواجهتها : هى الاعتراف بنجاة المسيح ، مع التسليم بخطأ شهادة يوحنا الذى يعتقد فى نجاح مؤامرة التلميذ الخائن .

★★

٢ - ويقول داود فى المزمور ٣٥ :

« خاصم يارب مخاصمى . قاتل مقاتلى .. انهض إلى معونتى .

ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسى .. ملاك الرب داحرهم .. ملاك الرب طاردهم . لأنهم بلاسبب أخفوا لى هوة شبكتهم . بلاسبب حفروا لنفسى .

لتأته التهلكة وهو لا يعلم ولتنشب به الشبكة التى أخفاها وفى التهلكة نفسها ليقع .

لا يشمت بي الذين هم أعدائي باطلا. ولا يتغامز بالعين الذين يبغضونني
بلا سبب .. فغروا على أفواههم أقض لي حسب عدلك يارب الهى فلا يشمتوا بي ..
لا يقولوا ابتلعناه .. لئلا يخبز وليخجل معا الفرحون بمصيتي ..

لهتف ويفرح المبتغون حقى وليقولوا دائماً ليتعظم الرب المسرور بسلامة
عبده » .

★

فى هذا المزمور نجد العبد الصالح تضرع إلى ربه طالبا النجاة من شبكة
الهلاك التى نصبها له عدوه ، ثم هو يدعوا أن يقع ذلك العدو فى الحفرة
التي حفرها ، ويثق فى استجابة طلبه .

لقد كان المتآمرون يظنون أنهم ابتلعوه ، لكن الرب نجاه وسر
بسلامة عبده .

★

ولقد رأى يوحنا أن فى هذا المزمور نبوة عن المسيح ، فقال على لسانه :
« أما الآن فقد رأوا وأبغضوني . . لكن لكى تتم الكلمة فى
ناموسهم أنهم ابغضوني بلا سبب - يوحنا ١٥ : ٢٥-٢٤ » .

ومرة أخرى إن كان هذا المزمور نبوة عن المسيح فإنما هو تقرير عن
نجاته من المتآمرين الذين أبغضوه بلا سبب وظنوا أنهم أمانته وابتلعوه .

لقد نجاه الله وسر بسلامة عبده - وسر كذلك المؤمنون .

★ ★

٣ - ويقول داود فى المزمور ٣٤ :

« ابارك الرب فى كل حين . دائماً تسبيحة فى فى ..

طلبت إلى الرب فأستجاب لى . ومن كل مخاوى انقذنى .

نظروا إليه واستناروا ووجوههم لم تخجل .

هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلصه . ملاك
الرب حال حول خائفه وينجيهم . . عينا الرب نجو الصديقين وأذناه
إلى صراخهم .

وجه الرب ضد عاملى الشر ليقطع من الأرض ذكرهم .
أوليك صرخو أو الرب سمع ومن كل شدايدهم انقذهم . .
كثيرة هى بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب . يحفظ جميع عظامه .
واحد منها لا ينكسر الشر يمت الشرير ومبغضوا الصديق يعاقبون .

*

من الواضح أيضاً أن هذا المزمور - مثل سابقه - يؤكد نجاة العبد
الصالح من مؤامرة الأشرار إذ يستجيب الله دعاءه ويرسل ملاكه لنجاته .
أما ذلك الشرير المتآمر فإنه يموت ويقضى عليه ويمحى ذكره من الأرض .

*

ويذكر يوحنا أنه بعد حادثة الصلب فقد « سأل اليهود بيلاطس أن
تكسر سيقاتهم ويرفعوا فأتى العسكر وكسروا ساقى الأول والآخر المصلوب
معه . وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات . .
لأن هذا كان ليتم الكتاب القائل عظم لا يكسر منه - يوحنا ١٩ : ٣١ - ٣٦ »
فهو قد رأى فى عدم كسر سيقان المصلوب تحقيقاً لنبؤة العهد القديم .

*

وتتفق الأناجيل على أنه فى الساعات العصيبة كان المسيح يصرخ إلى الله أن
ينجيه من مؤامرة القتل ، فقد « ابتدأ يحزن ويكتئب فقال لهم (لتلاميذه)
نفسى جد حزينة جداً حتى الموت . أمكنوا ههنا واسهروا معى .
ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلى قائلاً يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى
هذه الكأس - متى ٢٦ : ٣٧ - ٣٩ .

من الواضح إذن أن المسيح كان يرجو الله أن يدرأ عنه الخطر الداهم ،
خطر الوقوع فى قبضة أعداء يطلبون نفسه للقتل .

فإذا كان هذا المزمر نبرة عن المسيح ، فإنه يقول : « المسكين صرخ
والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلصه .

ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم » .

لقد حفظت بهذا نفس المسيح من القتل وحفظت عظامه ولحمه ودمه . ،
أما أن يقال أنه قتل ثم حفظت عظامه من الكسر فذلك ما لا ينطق به
المزمر . إن كل ذى فكر سليم يعلم أنه لا يضير الشاة سلعها بعد ذبحها .

★ ★ ★

أما بعد - فإن الكتب المقدسة فيها من التشبيهات ما لا يعنى شيئا أكثر
من إعطاء فكرة ما أو انطباع معين يمكن استيعابه .

وإن أسفار العهد القديم تمتلئ بالكثير من هذه التشبيهات فمنها ما يصور
الرب كأنه حيوان مفترس يتربص بشعب إسرائيل ليهلكه جزاء
فسقه وشروره . ومن هذه التشبيهات العجيبة ما يقول :

« أنا الرب الهك من أرض مصر والها سوى لست تعرف ولا مخلص
غبرى ، أنا عرفتك فى البرية فى أرض العطش .

لما رعدوا شعبوا . شعبوا وارتفعت قلوبهم لذلك نسونى .

فأكون لهم كأسد . أرصد على الطريق كنمر . أصدمهم كدبة ..

وأكلهم هناك كلبوة - هو شع ١٣ : ٤-٨ »

ومنها ما يشبه الرب وشعب إسرائيل كزوج له امرأة زنت فطلقها - كما
يقول النبي أرميا :

« قال الرب لى فى أيام يوشيا الملك . هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل .
انطلقت إلى كل جبل عال وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك ..

فأريت أنه لأجل كل الأسباب اذ زنت العاصية إسرائيل فطلقتها
وأعطيتها كتاب طلاقها - أرميا ٣ : ٦-٨ »

ولقد رأينا أن كثيراً من الفقرات التي رأى فيها كتبة الأناجيل — وبقيّة أسفار العهد الجديد — نبؤات عن المسيح ، قد طبّقوها حرفياً ، فوقّعوا في أخطاء . ومن ذلك ما فعله متى حين أدخل الحمارين إلى قصة دخول المسيح أورشليم ، لم يطبق نبؤة زكريّا حرفياً .

وبالمثل وقع يوحنا في نفس الخطأ حين أراد تطبيق قول المزمور ٣٤ « بحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر » — وهو الذي لا يعنى شيئاً سوى التأكيد على سلامة العبد الصالح — على ما ذكره من أحداث الصلب ، وكيف أن المصلوب مات سريعاً فلم تنكسر الجند عظامه .

لقد اهتم يوحنا بسلامة عظام المصلوب فقط بينما قرر المزمور سلامته جميعاً : نفساً وعظاماً .

ولقد رأينا كذلك كيف كانت تلوى كلمات العهد القديم لبا، وتجمع بعضها على بعض جمعاً لا يسير وفق نص أو منطق ، إنما كان ذلك بغية الوصول إلى هدف سبق أن وضعه الكاتب نصب عينيه . بل إن الأمر وصل إلى حد التكلم عن نبؤات خلت منها أسفار العهد القديم ، ولا يعرف لها العلماء مصدراً أو أساساً .

لقد كانت حصيلة جمع الأغلبية العظمى من شهادات العهد القديم على الصور التي رأينا بعضها منها مثل الحصيلة التي يخرج بها قارئ رأى — لسبب أو لآخر — أن يقرأ الأخبار التي تحتويها الأعمدة الرأسية لجريدة يومية ، في إتجاه أفقى على اتساع الصفحة الواحدة .

إنه لا بد وأن يخرج بنتاج عجيب اختلط فيه الجد بالهزل واختلطت فيه الأخبار والأنساب .



هذا — ومن الملاحظ أن أغلب شهادات العهد القديم التي اقتبس منها كتبة الأناجيل وبقيّة أسفار العهد الجديد ، إنما ترد إلى سفرى المزامير واسعياً .

ولما كانت أغلب هذه الشهادات قد نقلت بمفاهيم لم يعد من الصعب إثبات خطئها ، فإن الأمر يقتضى أن يولى علماء العصر شهادات العهد القديم مزيدا من الدراسة والتمحيص ، مستلهمين روح العلم التى تبحث عن الحقائق فتعلنها مجردة للناس .

ولعل نقطة البدء فى هذه الدراسة تكون بمراجعة المصادر الأصلية للشهادات وخاصة ما جاء منها فى سفرى المزامير وأشعياء - وكذا مراجعة تراجمها المختلفة ، حتى لا تنحرف المعانى عن حقيقتها الأولى كما حدث للمزمور ٢٢ ، الذى نقرأ فى تراجمه المتداولة : « ثقبوا يدي ورجلي » - بينما هى فى الأصل العبرى : « كلتا يدي مثل الأسد » .

ومن الواضح أن تلك الترجمة المنحرفة تخدم هدف الذين يتلمسون لصلب المسيح الحجج والمعاذير .
